محاضرة رقم: 3	
الكلية	التربية للعلوم الانسانية
القسم	الجغرافية
المادة	تاريخ الوطن العربي الحديث
المرحلة	الثالثة
السنة الدراسية	2021-2020
الفصل الدراسي	الاول
المحاضر	م. م. علي جاسم محمد
عنوان المحاضرة باللغة العربية	السيطرة العثمانية على العراق والخليج العربي وأسباب انهيار البرتغاليين
عنوان المحاضرة باللغة الانكليزية	The Ottoman control of Iraq and the Persian Gulf and the causes of the collapse of the Portuguese
المراجع والمصادر	ابراهيم خليل احمد ، تاريخ الوطن العربي في العهد العثماني 1516-1916
	سيار كوكب الجميل ، تكوين العرب الحديث
	اسماعيل احمد ياغي ، العالم العربي في التاريخ الحديث

السيطرة العثمانية على العراق والخليج العربي وأسباب انهيار البرتغاليين

لقد أبقى السلطان سليم بعد انتصاره في موقعة جالديران سنة 1514 فرهاد باشا أحد قواده لإكمال احتلال الولايات المتاخمة للحدود العثمانية ، وقد أمر فرهاد باشا بيقلي محمد باشا بالسيطرة على ماردين والرها والرقة والموصل وسنجار وتلعفر وجيزرة ابن عمر والعمادية وأربيل وكركوك ، وقد تم احتلالها سنة 1515 غير ان الحكم العثماني في هذه المناطق ظل قلقا بسبب الموقف السلبي الذي اتخذه السكان من العثمانيين آنذاك .

أما العراق الأوسط والجنوبي فقد بقي تحت الاحتلال الفارسي ، وقد تدهورت اوضاع سكانه الاجتماعية والاقتصادية والثقافية نتيجة لسياسة الاهمال التي اتبعها الفرس ، فقد كثرت الأوبئة وأهلمت مشاريع الري وظل نظام الأراضي يعاني كثيرا من الفوضى .

قام السـلطان سـليم الأول بإعداد حملة لاحتلال العراق وطرد الفرس ولكن المنية عاجلته سنة 1520 ، وعندما تبوأ السلطان سليمان القانوني العرش 1520 – 1566 وضع في منهاجه توجيه ضربة قوية إلى الدولة الصفوية عن طريق السيطرة على العراق والذي يمكن أن تتخذه الدولة العثمانية فيما بعد كقاعدة للانطلاق نحو الخليج العربي تعزيزا لجهودها في مواجهة البرتغاليين في البحرين الاحمر والعربي .

لقد حاول السـلطان سـليمان القانوني في بداية الامر تنفيذ احتلال العراق باسـتمالة بعض حكامه المحليين ، ولكن هذه الخطوة كانت سـببا في جعل العراق سـاحة للصـراع العثماني الفارسي وكاد السلطان سليمان القانوني يحقق هدفه بالسيطرة على العراق حين أعلن ذو الفقار بيك بن علي بيك نفسه حاكما على بغداد وعزل عمه إبراهيم خان موصلو وتقرب من العثمانيين وأظهر الولاء لهم بعد أن بعث برسالة السلطان بذلك .

إلا ان الشـاه طهماسـب الأول الذي تولى الحكم بعد أبيه إسـماعيل سـنة 1524 قام بهجوم كبير على بغداد سـنة 1530 وتمكن من قتل ذو الفقار وإخماد حركته وإعادة العراق إلى الحكم الفارسي ثانية .

شـجعت هذه الأحداث العثمانيين على أن يتولوا بأنفسـهم السـيطرة على العراق ففي سـنة 1534 تحرك ا السلطان سليمان القانوني بجيش كبير متجها نحو تبريز ، فوصـل إلى سلطانية في 13 تشرين الأول وكانت الجيوش الفارسية تنسحب من أمامه مرحلة بعد اخرى حتى وصل إلى همدان ، وعبر جبال زاكروس وتوجه غربا نحو بغداد ، أما الحامية الفارسـية فيها فقد انسـحبت عند سـماعها بأنباء وصـول الجيش العثماني ، وهكذا دخل السـلطان سـليمان القانوني بغداد في 30 كانون الأول 1534 دون أن يواجه مقاومة تذكر .

أُقام السـلطان سـليمان القانوني في بغداد أربعة أشـهر عمل خلالها على طمأنينة السـكان وتحقيق الاستقرار وتنظيم الإدارة والضرائب ، فقد أرسل محمد باشا إلى الموصل لتثبيت الحكم العثماني المباشـر عليها ووافق على تعيين الشـيخ راشـد بن مغامس أمير البصـرة العربي واليا

عليها شـريطة أن يكون تابعا لباشـا بغداد ، ثم عين حاكم ديار بكر السـابق سـليمان الطويل اول والٍ عثماني في بغداد .

أصـبح العراق في عهد السـلطان سـليمان القانوني مقسـما إلى خمس مناطق إدارية عرفت بالإيالات وهي إيالة البصـرة وإيالة الموصـل وإيالة شـهرزور ، وقد أعقب احتلال العراق امتداد النفوذ العثماني إلى منطقة الخليج العربي إذ صـارت البصـرة بعد تأكيد السيطرة العثمانية الفعلية عليها سنة 1546 القاعدة الثانية بعد السويس لإرسال الحملات البحرية ضد البرتغاليين .

السيطرة العثمانية على الخليج العربي :

وقد بدأ الصراع السافر بين العثمانيين والبرتغاليين حوالي سنة 1550 . عندما أعلن أهالي القطيف أنهم لا يدينون بالولاء لحاكم هرمز حليف البرتغاليين ، وأنهم يفضـــلون الدخول في حماية العثمانيين وقد أسرع البرتغاليون لإفشال مطمح سكان القطيف وإعادة الأوضاع إلى سابق عهدها ، ولقد أرسل السلطان العثماني سنة 1551 قائد البحر بيري بك على رأس اسطول يتألف من ثلاثين سـفينة لتهدئة أوضـــاع عدن الثائرة ضـــد العثمانيين ولكســـر الطوق البرتغالي على التجارة في الخليج العربي .

حاصر بيري بك هرمز مدة شهر كامل ، إلا ان تحصيناتها القوية التي أنشأها البرتغاليون خلال وجودهم منذ أربعين سـنة حالت دون سـقوطها فاضـطر إلى التراجع نحو البصـرة بثلاث سـفن فقط تاركا بقية أسـطوله في مضـيق هرمز خوفا من تقدم الأسـطول البرتغالي قوي نحوه واحتمال غلق المضيق بوجهه ، وقد أعدم بيري بك في استانبول بعد ان وجهت إليه تهمة الفشل في تحقيق أهداف العثمانيين في الخليج العربي وتشـويه سـمعة البحرية العثمانية ، وقد واصـل العثمانيون جهودهم ضد البرتغاليين في الخليج العربي فأسندت قيادة الأسطول البحري في مصر سـنة 1553 إلى سـيدي علي الذي كانت له سـمعة طيبة بسـبب جهوده في البحر المتوسـط ، وقد وصل سيدي علي البصرة وتسلم من الوالي العثماني هناك خمسة عشرة سفينة وأقلع سنة 1554 متوجها إلى هرمز وهناك اصطدم بأسطول برتغالي قوي يتألف من أربع وثلاثية سفينة ، وبسبب إطلاقات مدافع البرتغاليين والرياح المعاكسـة القوية اندفع الاسـطول دون خطة باتجاه السـواحل

الهندية ، وفي ميناء مورات تفرق أعوان سيدي علي وتركوا ما لديهم من سفن وساروا في الطريق البري عائدين إلى البصرة ، فاضطر سيدي علي إلى بيع السفن وإرسال أثمانها إلى استانبول .

وبعد حملة سيدي علي أرسلت إلى الخليج العربي بضع حملات عثمانية إلا انها لم تنجز أكثر من احتلال مؤقت للبحرين سنة 1559 ولمسقط سنة 1581 وفي كلتا الحالتين أجبرتها الأساطيل البرتغالية على الانسحاب .

إن الحملات العثمانية المتوالية بالرغم من عدم تكللها بالنجاح التام الا انها ساهمت بشكل أو بآخر في إضعاف شوكة البرتغاليين في الخليج العربي ، ولم يعد الطوق الذي فرضوه محكما ، على أنه لم يتحقق التخلص من النفوذ البرتغالي نهائيا الا على يد عرب الخليج أنفسهم ، ولقد ساعد خضوع البرتغال إلى العرش الاسباني بين سنتي 1580 – 1640 ووصل الانكليز والهولنديين إلى الخليج العربي على اضعاف البرتغاليين وتقليص نفوذهم في الخليج العربي ، لكن نمو قوة عرب عمان كانت العامل الحاسم في طرد البرتغاليين من المنطقة ، لقد ظهرت دولة اليعاربة في عمان سنة 1624 وتولت مسؤولية الصراع ضد البرتغاليين ونجحت في عهد حكامها الأوائل وخاصة ناصر بن مرشد 1624 – 1649 وسلطان بن سيف 1649 – 1668 في القيام بحركة تحريرية كبرى لم تقتصر على مناطق النفوذ البرتغالي في الخليج أو سواحل الجزيرة العربية ، وإنما امتدت إلى قواعد البرتغاليين وقلاعهم في الهند وفي سواحل شرق إفريقيا فتحررت صحار ومسقط ، وكان ميناء كنجان الصغير على الشاطئ الشرقي للخليج العربي آخر معقل للبرتغاليين دمره العمانيون سنة 1695 .

إن أسباب عدم نجاح العثمانيين نجاحا تاما في كفاحهم ضد البرتغاليين يمكن ان يعزى إلى عدم كفاءة بعض قادتهم البحريين وقيامهم بأعمال تعسفية إزاء السكان العرب بالرغم من تعاونهم مع العثمانيين في جهودهم الحربية المناهضة للبرتغاليين ، بالإضافة إلى ذلك فإن الاسطول العثماني في القرن السادس عشر كان مؤلفا من سفن صغيرة غير قادرة على التاثير الفعال ضد السفن المحيطية الكبيرة ، يضاف إلى ذلك صعوبة تجهيز وإدامة أسطول عثماني

تكفي قوته لمواجهة الأساطيل الأوربية في البحر المتوسط والمحيط الهندي في الوقت نفسه ، وذلك لانشغال الدولة العثمانية في هذه الفترة بالحروب البرية الطويلة ضد الإمبراطورية الرومانية المقدسة وضد الصفويين .

ومهما يكن من أمر فإن من نتائج الصراع العثماني – البرتغالي قدرة العثمانيين في المحافظة على الأماكن المقدسة الإسلامية وطريق الحج وكذلك حماية الحدود الإسلامية البرية من هجمات البرتغاليين طيلة القرن السادس عشر ، كما إن البرتغاليين برغم ما بذلوه من جهود لم يستطيعوا قطع الطرق التجارية التي تربط الهند و اندنوسيا بالشرق الأدنى عبر الخليج العربي والبحر الأحمر ، فقد استمرت عمليات تبادل البضائع الهندية مع التجار الأوربيين في أسواق حلب والقاهرة واستانبول وبورصة ، وفي سنة 1554 على سبيل المثال اشترى البندقيون وحدهم ستة آلاف قنطار – القنطار يساوي 100 كغم – من التوابل في الإسكندرية وفي الوقت نفسه كانت تصل إلى ميناء جدة في كل سنة حوالي عشرين سفينة محملة بالبضائع الهندية كالتوابل والأصباغ والأنسجة .

كما إن مشتريات البندقيين السنوية من التوابل البالغة 12 ألف قنطار بين سنتي 1560 – 1564 هي نفس الكمية التي كانوا يشترونها قبل اكتشاف فاسكودي غاما للطريق البحري الجديد المؤدي إلى الهند .